الصباح الإسلامية
09
العدد 2357 - السنة الثامنة
الأربعاء 26 ربيع الأول 1437 - الموافق 6 يناير 2016
Wednesday 6 January 2016 - No.2357 - 8th Year
إعداد : ياسر السيد

هو إفراد الله تعالى بما يختص به من ألوهية

التوحيد .. ومعناه في الإسلام

التوحيد في اللغة : مصدر للفعل (وحّد ، يوحّد) توحيدا فهو موحّد إذا نسب إلى الله الوحدانية ووصفه بالانفراد عما يشاركه أو يشابهه في ذاته أو صفاته ، والتشديد للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك .

وتقول العرب : واحد وأحد ، ووحيد ، أي منفرد ، فالله تعالى واحد ، أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال ، فالتوحيد هو العلم بالله واحدا لا نظير له ، فمن لم يعرف الله كذلك ، أو لم يصفه بأنه واحد لا شريك له ، فإنه غير موحد له .

وأما تعريفه في الاصطلاح فهو : إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

ويمكن أن يعرف بأنه : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

واستخدام هذا المصطلح (التوحيد) أو أحد مشتقاته للدلالة على هذا المعنى ثابت مستعمل في الكتاب والسنة ، فمن ذلك :

قوله تعالى : (قل هو الله أحد ... الخ السورة) .

وقوله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) البقرة/163

وقوله : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) المائدة/73 ، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا

وفي صحيح البخاري (7372) ومسلم (19) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ »

وفي صحيح مسلم (16) عن ابن عمر رضي الله عنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسَةٍ : عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ)

فالمقصود بالتوحيد في هذه النصوص كلها هو تحقيق معنى شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ، الذي هو حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بدليل وقوع هذه الكلمات و المصطلحات مترادفة ومتناوبة في الكتاب والسنة ففي بعض ألفاظ حديث معاذ السابق : « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » أخرجه البخاري (1496) .

وفي رواية لحديث ابن عمر : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسِ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » أخرجه مسلم (16)

فدل هذا على أن التوحيد هو حقيقة شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) وأن هذا هو الإسلام الذي بعث الله به نبيه إلى جميع الثقلين من الإنس والجن والذي لن يرضى الله من أحد دينا سواه.

قال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ) آل عمران/19

وقال جل شأنه : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران/85.

إذا علم هذا فليعلم أن التوحيد قد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام وهي :

توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

فتوحيد الربوبية : هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء و الإماتة ، ونحو ذلك .

وأدلة هذا التوحيد كثيرة جدا في الكتاب والسنة ، ويراجع السؤال (13532) للتعرف على بعضها .

فمن اعتقد أن هناك خالقا غير الله ، أو مالكا لهذا الكون متصرفا فيه غير الله فقد أخل بهذا النوع من التوحيد ، وكفر بالله .

وقد كان الكفار الأوائل يقرون بهذا التوحيد إقرارا إجماليا ، وإن كانوا يخالفون في بعض تفاصيله ، والدليل على أنهم كانوا يقرون به آيات كثيرة في القرآن منها :

قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) العنكبوت/61

وقوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) العنكبوت/63

وقوله جل شأنه : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) الزخرف/87 ، ففي هذه الآيات يبين الله أن الكفار يقرون بأنه سبحانه هو الخالق المالك المدبر ، ومع هذا لم يوحدوه بالعبادة مما يدل على عظيم ظلمهم ، وشدة إفكهم ، وضعف عقلهم ، فإن الموصوف بهذه الصفات المتفرد بهذه الأفعال ينبغي ألا يعبد سواه ، ولا يوحد إلا إياه ، سبحانه وبحمده تعالى عما يشركون .

ولذا فمن أقر بهذا التوحيد إقرارا صحيحا لزمه ضرورة أن يقر بتوحيد الألوهية .

وتوحيد الألوهية هو : إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولا وعملا ، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كائنا من كان كما قال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) الإسراء/23 ، وقال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) النساء/36 ، ويمكن أن يعرف بأنه : توحيد الله بأفعال العباد .

وسمي بتوحيد الألوهية : لأنه مبني على التأله لله وهو التعبد المصاحب للمحبة والتعظيم .

ويسمى توحيد العبادة لأن العبد يتعبد لله بأداء ما أمره به واجتناب ما نهاه عنه .

ويسمى توحيد الطلب والقصد والإرادة : لأن العبد لا يطلب ولا يقصد ولا يريد إلا وجه الله سبحانه فيعبد الله مخلصا له الدين .

وهذا النوع هو الذي وقع فيه الخلل ، ومن أجله بعثت الرسل ، وأنزلت الكتب ، ومن أجله خلق الخلق ، وشرعت الشرائع ، وفيه وقعت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم ، فأهلك المعاندين ونجى المؤمنين .

فمن أخل به بأن صرف شيئا من العبادة لغير الله فقد خرج من الملة ، ووقع في الفتنة ، وضل عن سواء السبيل ، نسأل الله السلامة . وأما توحيد الأسماء والصفات فهو : إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات ، فيعتقد العبد أن الله لا مماثل له في أسمائه وصفاته ، وهذا التوحيد يقوم على أساسين :

الأول : الإثبات : أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف لها أو تأويل لمعناها أو تعطيل لحقائقها .أو تكييف لها .

الثاني : التنزيه : وهو تنزيه الله عن كل عيب ، ونفي ما نفاه عن نفسه من صفات النقص ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فنزه نفسه عن مماثلته لخلقه ، وأثبت لنفسه صفات الكمال على الوجه اللائق به سبحانه .

له عدة أشكال وأنواع

الصبر .. وجزاء الصابرين

ما هو الصبر؟ وكيف يكون؟ وما فائدة الصبر؟ وما جزاء الصابرين؟ يعرف الصبر لغة على أنه حبس النفس عن الجزع، ويعرف الصبر إصطلاحاً على أنهُ حبس النفس ومنعها عن فعل كل ما يعصي الله تعالى وإلزامها على طاعة الله والإبتعاد عن كل ما تهواهُ النفس وتميل إليه بما لا يرضي الله تعالى، والصبر يأتي أيضاً بقدرة الفرد على كتم غيضه داخل نفسه وتفويض أمرة لله تعالى سواء في غاية ينتظرها أو مشكلة أو مصيبة. الصبر هو قدرة داخلية في الفرد تنبع من قوة إيمانة فيتحلى بالقدرة على الصبر والتحمل على أمر ما فيفوض أمرة لله تعالى ويلتزم الصمت في قرارة نفسه ويصبر طمعاً بأجر الله تعالى ومواساة وتصبيراص لنفسة وللصبر عدة أنواع وأشكال وهي:- -الصبر على أوامر الله تعالى والفروض التي ألزم بها الفرد: في هذا النوع من الصبر يصبر العبد على ما أمرد الله تعالى به فيلزم نفسه بالتقيد بأحكام العقيدة الإسلامية التي فضها الله تعالى فيصبر ويصبر نفسة على هذه الطاعات والأوامر وإن كان بها مشقة وعناء، طمعا بنعيم وثواب الآخرة وطمعاً برضى الله جل وعلا. - الصبر عن المعاصي والمحرمات: في هذا النوع من الصبر يقوم الفرد المؤمن بالصبر على جميع ما حرّمة الله تعالى فيبتعد عنهُ ويجبر نفسه على الإبتعاد عن كل ما تهواهُ النفس من معصية وفجور يخالف أوامر الله تعالى ويغضبة، فيبتعد عن النظر للمحرمات ويصبر نفسهُ بالعبادات والطاعات طمعاً بالأجر العظيم. - الصبر على القضاء والقدر المؤلم: قد يختبر الله عز وجل صبر عبدة المؤمن فيبتليه بمصيبة ما أو خسارة فالدنيا فتضيق نفس العبد ويلجا لله تعالى بالعبادة والدعاء وكلما صبر المؤمن كلما دل على قوة إيمانه وعدم إعتراضه على قضاء الله وقدرة وعلى شدة صبرة، فيشكر الله على كل شي ويحمده ويصبر على مصيبته بالحمد وملازمة الإستغفار فيفوّض أمرة لله تعالى والصبر يكون عند صدمة العبد الأولى عند وقوع المصيبة أو البلاء فإن صبر أثابه الله تعالى وفرجها عليه من حيث لا يعلم. والصبر لا يكون بقول الفرد أنا سوف أصبر أو أنا صابر بل يكون بحمد الله بالشكل المناسب وملازمة الإستغفار ليكفر الله عن ذنوبة، وعلى المؤمن عند صبرة ألا يخبر أحدا فلا يتذمر ولا يضجر بل يتوكل على الله عز وجل ويتيقن أنّ الفرج بيده وحده وكلما صبر العبد كلما زاد أجره ثواية عند الله تعالى. وقد وعد الله تعالى عباده الصابرين بالأجر والثواب العظيم وذكر الله تعالى ذلك في كتابة الكريم في أكثر من سورة و آية أعد الله تعالى للصابرين جنات النعيم وعوضهم الله تعالى أجر صبرهم وجهاد أنفسهم على الصبر وأعطاهم ضعف ما تمنوا وصبروا عليه، وأجر الصبر يظهر على العبد في الدنيا قبل الآخرة فيعوضة الله بما هو خير له فيوسع له برزقة ويجعل له بركه بكل شيء ويعطيه الثواب والمغفرة في الآخرة وينقله الله من البلاء والشقاء للنعيم والعطاء فيفيض خير الله على عبادة الصابرين، ويتضح أن من أكثر الأسباب التي تستوجب دخول الجنة هو صبر العبد لأنّ الله تعالى ينظر لعبادة الصابرين فيرى عبدٌ قد ترك المعاصي طمعاً بالمغفرة وجاهد نفسة على تركها فيأجره الله تعالى ويرى عبدا آخر قد إبتلاه فشكر وحمد وتيقن أنّ هذا قدر الله فيأجره الله تعالى على صبره، وأجر الصبر تتنوع أشكالة أعظمها دخول الجنة بفضل الصبر ونيل رضا الله جل وعلا وأدناها نعيم في الدنيا وتيسير بالأمور.

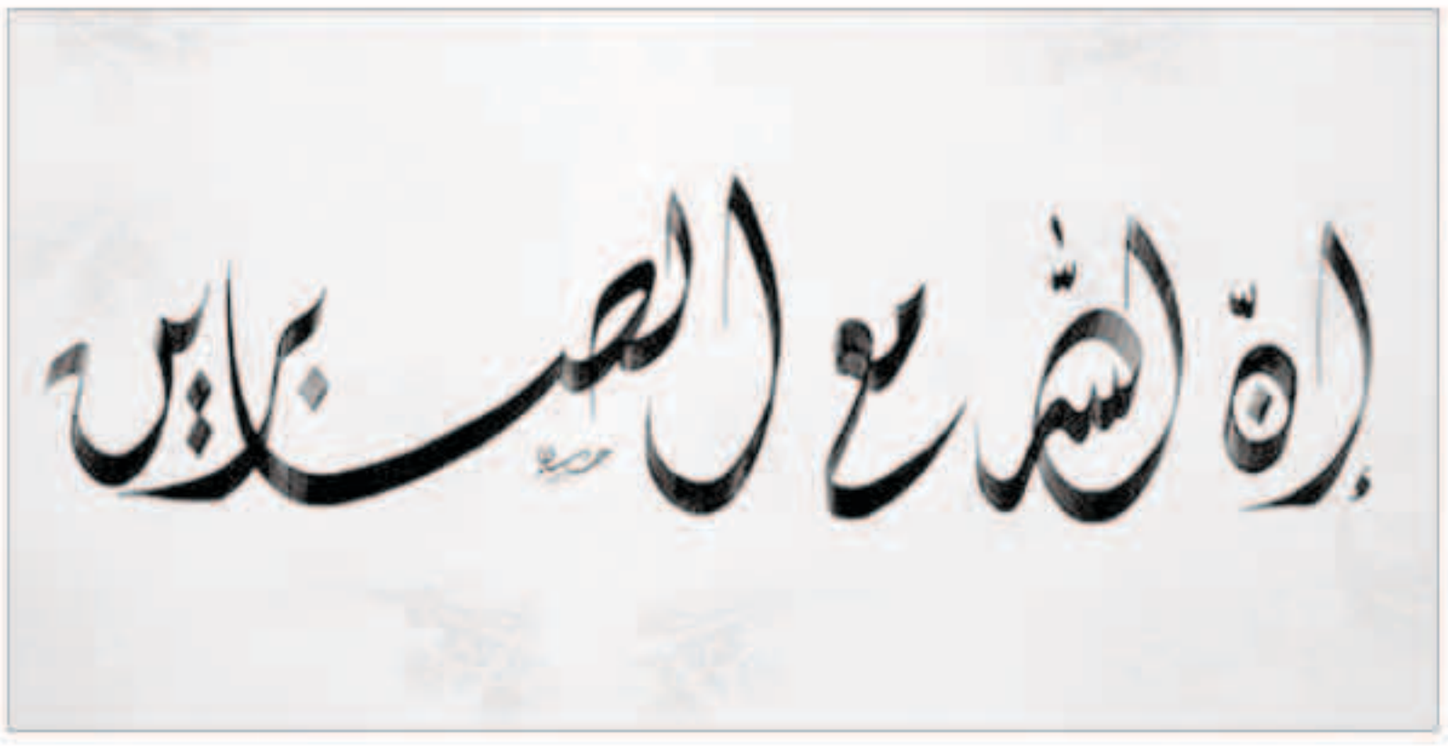

الذنوب التي لا تغفر

جاء أحد الصّحابة واسمه ماعز إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقلبه متفطّر وجل ، فقد ارتكب جريمة الزّنا وهو متزوّج ، وحدّ الزّنا في ديننا على المتزوّج الرّجم حتى الموت وأن يشهد عذابه طائفة من المؤمنين ، أصرّ ماعز على أن يراجع رسول الله وفي كل مرّة يرجعه رسول الله ثمّ يعود حتى بلغ ذلك أربع مرات ، فالنّبيّ الكريم عليه الصّلاة والسّلام يدرك أنّ الحدّ جدّ لا مزاح فيه ولا جدال ، وأنّ الحدود إذا وصلت إلى الحاكم وجب أن يبتّ فيها ويقيمها على من ارتكبها ولو وجد شبهة واحدة في المسألة لم يقم الحدّ ، فالحدود تدرء بالشبهات ، وإنّ الحدود لا شفاعة فيها لأحد ، فقد يتعافاها النّاس فيما بينهم لكن إذا علم بها الحاكم انتهت المسألة ، وقد وضع الله الحدود وشرعها حفظا للمجتمع ودفعا للشرور والمفاسد فيه ، وقد أرسى رسول الله أسس العدالة في المجتمع بتطبيق حدود الله على جميع من أخطأ في المجتمع دون تمييز بتصريحه أنه لو سرقت ابنته الطاهرة فاطمة وحاشاها أن تفعل ذلك لأقام رسول الله الحدّ عليها ، ولم يتعجّب الرّسول حين وجد غيرة الصّحابي سعد بن عبادة الشديدة حين بيّن له كيف يجب أن يأتي من تزني زوجته بالشهود على ارتكابها لهذا الفعل قائلا : انتظر حتى آتي بالشهود والله لأضربنّها بالسّيف غير مصفح عنها ، فبيّن رسول الله أنه لأجل ذلك وضع الله الحدود فهو أشدّ غيرة سبحانه على عباده منّا . فالذّنوب الكبيرة هي الذّنوب التي وضع الله سبحانه لها الحدود وكذلك ما ارتبط بها وعيد الله وعذابه ، وإنّ أشنع هذه الذّنوب وأعظمها جرما عند الله الشّرك به ، فهو الذّنب الذي لا يغتفر ، أمّا دونه من الذّنوب فمرجعها لله فهو الحكم فيها إن شاء غفر لصاحبها وإن شاء عاقبه ، وعلى المسلم في كل الأحوال التّوبة منها توبة نصوحا لعل الله يشمله برحمته ويغفر له ، ومن الذّنوب الكبيرة السّحر وعقوق الوالدين والزّنا وقذف المحصنات الغافلات وشهادة الزّور والميسر وأكل الرّبا وأكل مال اليتيم وما شابهها وماثلها في الجرم ، وقد قرّر الله سبحانه قاعدة في تحديد ما يغفر وما لا يغفر من الذّنوب ، فقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) صدق الله العظيم .